

نظام التعليم الرسمي ودوره في تراكم رأس المال البشري دراسة حالة الجزائر

الأستاذ: عزالدين بوشوك *

الملخص:

رأس المال البشري، عنصرا أساسيا في تقدم وازدهار المجتمعات والدول والمؤسسات الاقتصادية على السواء، يعتمد على نظام التعليم ومخرجاته في القياس الكمي لتراكمه، لهذا تهتم جميع البلدان بالتربية والتعليم وتجتهد في تحسين مخرجاتها لتعميق الأثر على رأس المال البشري، والجزائر تأخذ بهذا الاتجاه كغيرها من البلدان، حيث نتناول في هذا المقال رأس المال البشري ودور النظام التربوي الجزائري في تراكمه **كلمات مفتاحية:** التنمية، إقتصاد التربية، رأس المال البشري، نظريات النمو، التعليم والتكوين، التنمية البشرية، مخرجات النظام التعليمي .

Résumé

Le capital humain est un élément clé dans le progrès et la prospérité des collectivités et des pays et des institutions économiques. où les chercheurs prennent le système Educatif et ses sorties dans la mesure et la quantification de l'accumulation de ce capital , pour cette raison ,tous les pays donnent l'intérêt majeur à l'éducation . Et produisent des efforts considérables pour améliorer ses sorties, et l'Algérie ; comme d'autres pays prendrait des efforts immenses dans ce sens, où nous abordons dans cet article, le capital humain et le rôle du système éducatif algérien dans l'accumulation de capital humain.

Mots-clés: développement, capital humain, théories de la croissance, Economie de l'éducation, le développement humain, les sorties du système éducatif

*عزالدين بوشوك، أستاذ مساعد الصنف أ، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة يحيى فارس، المدية، الجزائر.

مقدمة

إن مكانة الإنسان والإنسان المتعلم الواعي بالخصوص في النشاط الاقتصادي، مؤكدة في أدبيات كل المدارس الاقتصادية، فهذا الفيلسوف الصيني الكبير كونفوشيوس في إحدى حكمه، إذا أردت أن تضمن رفاهية شعبك لمدة سنة فأزرع له أرزا، وإذا أردت أن تضمن رفاهيته لمدة عشر سنوات فأزرع له أشجارا، أما إذا أردت أن تضمن له الرفاهية لمدة مئة عام فعلمه.

حيث تأتي هذه الحكمة كدلالة على أهمية الإنسان العارف المتعلم، في تحقيق الرفاهية والتقدم الاقتصادي والاجتماعي وهو ما ذهب إليه آدم سميث (1723 - 1790) Adam Smith رائد المذهب الرأسمالي، منذ القرن الثامن عشر، حيث أكد على دور التعليم في تكوين العامل المحصن من الفساد والمساهم في الحفاظ على السلم الاجتماعي والاستقرار الواجب للنشاط الاقتصادي وهو نفس الرأي الذي ذهب إليه الكاتب الألماني، مؤسس المدرسة الاشتراكية العلمية، كارل ماركس (1818-1883) Karl Marx، إذ يرى وجود علاقة ارتباط بين التعليم والتنمية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع.

لكن مساهمة الكاتب الإنجليزي الكبير ألفريد مارشال (1842 - 1924) Alfred Marshall، حول التعليم كانت مميزة، لأنه أكد على القيمة الاقتصادية للتعليم والتي يرى بأنها قابلة للاستثمار، عن طريق تعليم وتدريب العنصر البشري بما يحقق أكبر إنتاجية من العمل.

و ما أن حل مطلع القرن العشرين، حتى تأسس فرع اقتصادي، جديد يتمثل في اقتصاد التربية الذي كان موضوعه قياس الأثر التربوي والتعليمي في النمو الاقتصادي.

وكان من رواد هذا العلم الكاتب الروسي سيستلاف ستروميلين، حيث قدم سنة 1924 دراسة قيمة حول تأثير التعليم على التوظيف ومستوى الأجور، كما قدم كثير من الكتاب مساهماتهم في هذا الميدان منهم، كلارك H.G.Clark، شولتز T. Shultz، بيكر GS.Beker، بشاربولوس Psacharpoulos، جون فايزي J. vaizey، هاريس S.E.Harris، بلوغ Blaug، فريدريك ابدن Fridrich Edding، جون كلود ايشر J.claud، Eicher ليفي غاربوا L.levy-garboua .

وكل هؤلاء الرواد أكدوا على أهمية التعليم وأسسوا بدراساتهم لعلم اقتصاد التربية والتعليم، الذي يبحث في قياس أثر التعليم على النمو الاقتصادي والتنمية الاقتصادية.

أما مصطلح رأس المال البشري، فيعود الفضل في اشتقاقه إلى الكاتب الأمريكي GS. Becker حيث طور الأفكار المتعلقة بدور التعليم والتكوين في النمو الداخلي وأثرها على التنمية الاقتصادية سواء على المستوى الكلي أو على مستوى الأفراد، في كتابه الذي صدر سنة 1964 بعنوان رأس المال البشري دراسة تحليلية وتجريبية، حيث أكد على دور التعليم والتدريب في تشكيل القيمة الاقتصادية للعمل والعامل بما يكسبه رأسمالا يماثل ويضاهي رأس المال المادي.

ومن هذا المنطلق جاء التأسيس لنظرية رأس المال البشري كمقوم أساسي للتنمية والنمو الاقتصاديين، سواء على مستوى التحليل الكلي أو التحليل الجزئي، وتم التأكيد على دور التعليم والتدريب في تنمية رأس المال البشري. ومن هنا تأتي مساهمة ورقتنا هذه، حيث سأحاول أن أعرج على المنظومة التربوية الرسمية في الجزائر ومدى تأثير مخرجاتها على تراكم رأس المال البشري في الجزائر من خلال استقراء مدخلات ومخرجات منظومة التربية الوطنية التي تشرف عليها وزارة التربية والتي تعتبر العمود الفقري للمنظومة إنتاج رأس المال البشري في الجزائر لحجمها والإمكانيات المسخرة لها

وسنحاول أن نناقش مفردات البحث من زاوية الإشكالية التالية:

ما هو دور نظام التعليم الرسمي في تراكم رأس المال البشري؟

وبغرض الإجابة ومناقشة هذه الإشكالية، نطرح جملة من الأسئلة الفرعية، التي تساعدنا على تحليل و

الإحاطة بموضوع البحث، نوجزها في الأسئلة التالية:

- ما هو مفهوم رأس المال البشري؟
 - ما هي مقارباته القياسية؟
 - كيف يمكن لنظام التعليم أن يلعب دورا في تراكم رأس المال البشري؟
 - ما هي مدخلات ومخرجات نظام التعليم الرسمي الجزائري؟
- حيث نقترح جملة من الفرضيات، كإجابات مسبقة للأسئلة التي يطرحها بحثنا، نوجزها كما يلي:
- إن رأس المال البشري، يعتبر عنصرا رئيسيا في أي جهد تنموي، تأكدت أهميته بالدراسات والأبحاث العلمية التي قدمها رواد علم اقتصاد التربية على الخصوص.
 - إن التعليم الرسمي ومنظوماته، تعتبر العامل الأساسي في تراكم رأس المال البشري.
 - لقد عملت الجزائر منذ أن تحصلت على استقلالها الى اليوم على تنمية وتطوير نظامها الرسمي للتعليم، وقطعت أشواطا معتبرة في ذلك، خاصة من الجانب الكمي.
 - إن مخرجات نظام التعليم الرسمي في الجزائر لم تصل إلى المستوى المطلوب من حيث الجودة.

أولا: مفهوم رأس المال البشري وأهميته

منذ ظهور مصطلح رأس المال البشري، عرف تطورا وعميقا من حيث التنظير والتطبيق والتحليل والنمذجة. إن رأس المال البشري يتمثل في مجموعة من قدرات الإنتاج عند الفرد. وهذه القدرات تتجسد خاصة في ما يتصل بالوضع الصحي والمعرفة والتعليم، ففي الواقع الشخص السليم قادر على العمل بأكثر مردودية وكفاءة من الشخص المريض. وبالمثل، فإن الفرد الذي أكتسب تعليما وتكوينا و معارف عامة، يكون أكثر إنتاجية ومردودية من غيره، ويكون عائدته المادي أكبر من الشخص الذي لم يحض بنفس القدر من التعليم والتكوين، كما أن فرصه في الحصول على عمل وتحقيق عوائد مالية تكون أكبر من غيره ممن لم يتحصل على التعليم والتكوين.

ومن هذا المدخل يتحدد مفهوم رأس المال البشري، بأنه كل القيم التي يتحصل عليها الفرد العامل بشكل مسبق، من تربية وتكوين وتدريب ورعاية صحية وغيرها، التي تسمح له بالتميز في الدخل وفرص العمل عن غيره من العمال الذين لم يحصلوا على نفس ما تحصل عليه.

1- مفهوم رأس المال البشري

ولتوضيح المفهوم أكثر، فإننا نعطي بعض التعاريف المقدمة لرأس المال البشري.

- تعريف البنك الدولي لرأس المال البشري، حيث يري البنك الدولي بأن رأس المال البشري يتمثل في جملة المعارف والقدرات ومعطيات الخبرة التي يجوزها الفرد ويجولها اقتصاديا إلى قدرة إنتاجية، وبالتالي فهو يتمثل في القدرات الإنتاجية لشخص معين، التي تراكمت لديه عن طريق المعارف العامة أو الخاصة.¹

- أما منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية (OCDE) فتعرف رأس المال البشري في تقرير لها سنة 1996، بأنه يتمثل في جملة المعارف والأفكار التي يكتسبها الأفراد خلال حياتهم، والتي يستخدمونها في إنتاج السلع والخدمات وفي الأسواق وخارجها.²

- أما منظمة الغذاء العالمية، فإنها تعرفه بأنه يمثل نوعا من أنواع رأس المال، ويتمثل في الكفاءات والمعرفة والقدرة على العمل والصحة الجيدة، هذه العوامل المجتمعة تسمح للإفراد بإتباع إستراتيجيات مختلفة وبإمكانات عيش متعددة والحصول على دخول تسمح لهم بإعالة أسرهم وضمان المستوى اللائق من الحياة، وهو يمثل في نهاية الأمر عامل كمي وعامل نوعي للقدرة على العمل، تلعب فيها الاستعدادات الشخصية الفطرية منها والمكتسبة من التربية والتعليم دورا في تشكيل هذا العامل.³

- ونختتم تعاريف رأس المال البشري، بتعريف الكاتب الأمريكي الكبير جوزيف ستيجليز (-1943) Stieglitz J. الحاصل على جائزة نوبل في الاقتصاد سنة 2001، حيث يرى بأن رأس المال البشري يمثل جملة الكفاءات والخبرات المتراكمة، والتي تسمح للفرد العامل بالوصول أعلى إنتاجية.⁴

2- أهمية رأس المال البشري:

إن أهمية رأس المال البشري أصبحت لا تثير أي انتقاد أو شكوك عند الاقتصاديين المعاصرين، حيث أثبتت العديد من الدراسات النظرية والتجريبية، أهمية رأس المال البشري سواء على المستوى الكمي أو على مستوى المؤسسات في إطار التحليل الاقتصادي الجزئي، ومن بين هذه الدراسات، تلك الدراسات التي جمعتها البنك الدولي في كتاب بعنوان التربية من أجل التنمية تحليل لبدائل الاستثمار.⁵

وتكمن أهمية رأس المال البشري في دورها الأساسي في تحقيق التنمية، فهو العنصر الفاعل في إستراتيجيات التنمية، علما أن أهمية رأس المال البشري تبرز وتتحقق من خلال التربية والتعليم، فمن دونهما لا يمكن أن يتراكم رأس المال البشري، وتشير نظريات النمو الاقتصادي إلى أن التقدم التكنولوجي يزيد من معدل النمو الاقتصادي في الأجل الطويل ويزداد هذا التقدم التكنولوجي سرعة عندما تكون قوة العمل أفضل تعليماً، ومن هنا فإن تراكم رأس المال البشري يساعد في تحقيق التنمية ويعتبر مصدراً من مصادر النمو المستدام. وتشير الأدبيات الاقتصادية

إلى أن رفع معدلات النمو المستدام يتم عن طريق زيادة الطاقة الإنتاجية والاستثمار في الأصول الملموسة وغير الملموسة مثل الابتكار والتعليم والتدريب.⁶

ومن خلال دراسة قام بها الكاتيبين Baroo & wahLee والتي أنصبت على متابعة معدلات النمو الاقتصادي لعدد من دول العالم خلال الفترة 1960-1995، حيث استنتجا بأن مخزون رأس المال البشري المتراكم لدى هذه البلدان يمثل أحد أهم المحددات الأساسية المؤثرة في النمو والتنمية، كما استنتجت هذه الدراسة بأن النمو مرتبط ارتباطاً إيجابياً و قويا في علاقة طردية مع سنوات التحصيل الدراسي في المستويين الثانوي والعالي للذكور البالغين، كما لاحظت هذه الدراسة كذلك بأنه رغم أن مستوى التعليم الابتدائي لا يلعب دوراً كبيراً في النمو، إلا أنه يعتبر ممر رئيسي وإجباري للمرور إلى المراحل الأعلى من التعليم ذات المردود التنموي.⁷

ولعل الفترة الزمنية التي برزت فيها، أهمية رأس المال البشري و أزدادت فيه درجات الاهتمام بعملية تراكمه عن طريق الاهتمام بالاستثمار في الإنسان عن طريق التعليم والتدريب والتكوين، هي فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وذلك لجملة من الأسباب نورد بعضها في النقاط التالية الآتية:⁸

- الزيادة الكبيرة في حجم الناتج القومي في الدول المتقدمة مقارنة بالزيادة في مواردها الطبيعية وساعات العمل ورؤوس الأموال المنتجة، الأمر الذي يمكن تفسيره -إلى حد كبير- بارتفاع مستوى الاستثمار في رأس المال البشري.
- تزايد الاهتمام بالتنمية الاقتصادية في الدول النامية التي انتزعت استقلالها حديثاً و ورثت وضع اقتصادي واجتماعي يتميز بالتأخر والتخلف، مما أثار نقاش وتجادب بين المفكرين ورجال السياسة في إطار الحرب الباردة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية.
- حاجة البلدان المتخلفة لهضبة تعليمية كبيرة تساعدها على محاربة الأمية وتقليل تداعياتها الاجتماعية والاقتصادية.
- دور المنظمات الدولية لما بعد الحرب العالمية الثانية كمجموعة بروتن وودز، في توحيد الجهود الفكرية والتنظيمية والتمويلية، لإحداث نمو متكافئ بين فارات العالم وبلدانه، وهو ما ساهم في بناء المنظومات التربوية وتمويل إنشائها، سواء من حيث المنشآت القاعدية أو التنظيم والتخطيط، وتكوين الإطارات.
- الجهد الدراسي المبذول و الاهتمام المكثف أنتج دلائل ومؤشرات تثبت بأن الاستثمار في تكوين رأس المال البشري يفوق في نتائجه الاستثمار في الموارد المادية، وهو ما فتح الباب واسعاً أمام تنمية الموارد البشرية وجعلها من أهم القضايا والأولويات المطروحة و التي أصبحت الدراسات الاقتصادية تعتبره العنصر الأساسي الأول في عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

ثانياً: المقارنة القياسية لرأس المال البشري

كانت المقاربات القياسية لنظرية رأس المال البشري محل اهتمام المدرسة النيوكلاسيكية، حيث أعطت كتابها أهمية كبيرة لدور رأس المال البشري في نظرياتهم للنمو الاقتصادي، حيث تجدر الإشارة إلى أنه من الناحية العملية لا يوجد في الوقت الحالي معيار كمي لقياس رأس المال البشري، حيث يلجأ الكتاب إلى اعتماد مدخلات

تكوينه، مقياس مركب له، والمتمثلة في التربية والتعليم والتكوين والنفقات المتعلقة بهم وكذلك على نفقات الصحة وغيرها، وهذا ما يذهب إليه الكاتبين بيرمان وتوبمان ⁹.Behrman and Taubman

وتعتبر سنوات الدراسة التي يتحصل عليها الأفراد مقياس لرأس المال البشري، لما للتعليم من أثر مباشر على إنتاجيته، حسب بيكر و شولتز، فلقد قدم جورج شولتز دراسة سنة 1988، وأثبت فيها وجود علاقة ارتباط بين متوسط الدخل الفردي في بلد ما ومتوسط سنوات الدراسة التي يتحصل عليها أفرادها، وأستنتج من دراسته بأن البلدان التي تعرف متوسط سنوات دراسة طويلة نوعا ترتفع فيها متوسط الدخول الفردية وإن العكس صحيح.¹⁰

وفي تطور للمقاربات القياسية للرأس المال البشري، بدأ الكتاب في تحليل العوائد من الاستثمار في التعليم، حيث أستنتج أصحاب هذه المقاربة بأنه يمكن المقارنة بين تكاليف التربية والتعليم والعوائد المتوقعة منهما، وهو الطرح الذي ذهب إليه الكاتب Maureen Woodhall، في دراسة له سنة 1970 بعنوان تحليل التكلفة والربح في التخطيط التربوي، حيث أستنتج النتائج التالية¹¹:

- عوائد الأفراد مرتبطة بشكل عالي مع التعليم ومستوياته.
- العائد ينمو تصاعديا مع السن ليبدأ في التراجع حتى سن التقاعد، ليشكل في مجمله علاقة غير خطية.
- منحى العائد يكون أكبر تموج عند الأفراد المتعلمون منه عند الأقل تعليما.
- كلما كان مستوى التعليم عاليا كان الوصول إلى نقطة التراجع أبعد زمنيا.

وفي سنة 2004 قدم الباحثين Patrinos et Psacharopoulos دراسة حول العائد ومستوى التعليم، حيث قاما بقياس شامل لعوائد التعليم في مراحلها المختلفة، حيث استنتجا من دراستهما بأن الدول المختلفة تعرف عوائد مرتفعة من التعليم الابتدائي، على خلاف الدول المتقدمة، والجدول التالي يلخص ذلك.¹²

الجدول رقم 1: العائد على الإستثمار في التعليم حسب مستوى متوسط الدخل

| مجموعات الدول | العائد من الإستثمار في التعليم (نسبة مئوية) | | |
|---------------|---|-------------|------------|
| | تعليم ابتدائي | تعليم ثانوي | تعليم عالي |
| منخفضة الدخل | 21.3 | 15.7 | 11.2 |
| متوسطة الدخل | 18.8 | 12.9 | 11.3 |
| مرتفعة الدخل | 13.4 | 10.3 | 9.5 |
| دول العالم | 18.9 | 13.1 | 10.5 |

المصدر: 2004.Psacharopoulos and Patrinos

ثالثا: المقاربة الاقتصادية للتربية والتعليم

التربية والتعليم، ممارسات ثابتة في التاريخ البشري، فمنذ الحضارات الأولى أعطاهما الإنسان، أهمية كبيرة، وأعتبرها حاجة اجتماعية وشأن يتعلق بالمجتمع بجميع مكوناته، ومنه اهتمت الدول والأمم بهما و عملت على القيام بها، وتنافس الأفراد في بناء المدارس والمعاهد التي تلقن وتعلم أفراد المجتمع سبل التربية وفنون التعليم.¹³

وتعتبر التربية والتعليم وسيلة لتنمية القوى البشرية ورأس المال البشري ومقياس كمي له كما سبق ذكره، كما تعتبر مقياس من مقاييس التطور والتخلف يقاس تطور وتخلف الدول على أساس مخرجات نظم التعليم والتربية و فيها. ولقد أهتم الاقتصاديون باختلاف مدارسهم الفكرية ومشاريعهم المذهبية، بالتعليم والتربية، وفي ما يلي نقدم آراء بعض الاقتصاديين في التربية والتعليم.

- يرى آدم سميث في إطار تحليله لثروة الأمم، بأن التربية والتعليم يشكلان عامل أساسي في تكوين رافد لرأس المال، وأطلق عليه رأس المال الدائم، حيث يعتبر بأنه يتشكل من المعرفة والعلم والقدرة على استخدامهما من قبل الإنسان في النشاط الاقتصادي، ومنه يدعو إلى ضرورة تخصيص إنفاق للقيام بوظيفة التعليم والتربية في المجتمع والاستثمار فيهما، بمساعدة من قبل الحكومات للأفراد لأن قيم التعليم حسب رأيه تقلل من الفساد وتشجع على الاستقامة.¹⁴

أما الفيلسوف والاقتصادي جون ستوارت ميل فيرى بأن مهارات العمل لدى الأفراد تمثل ثروة للأمة كاملة تكتسب عن طريق التعليم المنظم والموحد، وهي عملية لا يمكن للأفراد وآليات السوق أن تضمنها، ولهذا على الحكومات أن تتدخل لضمان فعالية التنظيم وفرض إلزامية التعليم سواء في المدارس أو في البيت، و يزيد عن ذلك إلى أن على الدولة أن تتدخل في ضمان تماثل وتناسق البرامج و فعاليتها.¹⁵

ويعتبر ألفريد مارشال أو كاتب اقتصادي ، الذي تناول بكل صراحة، البعد الاقتصادي الحقيقي للتعليم، وتعتبر آراءه حلقة وصل بين المدرسة الكلاسيكية النيوكلاسيكية، خاصة في مجال المقاربة الاقتصادية للتعليم والتكوين، حيث يرى بأن التعليم عامل داخلي وأساسي من عوامل الإنتاج، كما أنه يرجع التفاوت في مستويات الإنتاجية بين العمال للتفاوت في مستويات تعليمهم، وبهذا الرأي مهد للدراسات التجريبية والقياسية لدور التعليم في النشاط الاقتصادي و التقييم الاقتصادي لنظم التربية والتعليم.¹⁶

ثم جاءت موجة الرواد من الكتاب الذين أعطوا التربية والتعليم أهمية كبيرة وأكدوا مكانتها الأساسية، كقيمة اقتصادية وأسسوا لعلم اقتصاد التربية، خاصة في الربع الأول من القرن العشرين ، إذ أنطلق كثير من الكتاب في دراسة أثر التعليم في النمو الاقتصادي والتنمية، حيث سبق ذكر بعض من هؤلاء الرواد في أعلى هذه الورقة.

واعتبار من سنة 1960 كانت جامعة شيكاغو الأمريكية مقر لمجهود بحثي كبير¹⁷، تميزت به في مجالات متعددة، من بينها مجال رأس المال البشري، قامت مجموعة من الباحثين بمجهود بحثي كبير، ترسخ بنتائجه دور التربية والتعليم بكل أشكالهما في نظرية رأس المال البشري، التي أطلقها ج.س. بيكر (1930-2014) Gary Stanley Becker، والتي نال على جملة بحثه في مجال رأس المال البشري جائزة نوبل في الاقتصاد سنة 1992. هذه البحوث التي تعتبر مكملة للبحوث التي قام بها زميل عمله في الجامعة تيودور شولتز (1902-1998) Theodore William Schultz و الذي تحصل بدوره على جائزة نوبل قبل ذلك في سنة 1979 .

ويمكن إعتبار أعمال الكاتين السابقين، دفعة قوية للدراسات والبحوث المنصبة على تخطيط النظم التعليمية وقياس مخرجاتها اقتصاديا واجتماعيا، و أمام مفهوم التنمية البشرية و نظرية رأس المال البشري للتطور.

رابعاً: النظام الرسمي للتربية والتعليم في الجزائر

لقد عرف المجتمع الجزائري - عبر تاريخه الطويل - نظم تعليم وتربية أدت دورها في حينها فكانت جامعات ومعاهد مدينة بجاية مثلاً، ملجأً للأوروبيين في القرون الوسطى لأخذ العلم والمعرفة، وما تعجب قادة المستعمر الفرنسي حين لم يجدوا أي أُمي في مدينة الجزائر عند دخولهم إليها سنة 1830، إلا شهادة عن كفاءة نظام التربية والتعليم في تلك الفترة.¹⁸

وحين دخل المستعمر الفرنسي للجزائر عمل على تحطيم التركيبة الاجتماعية والثقافية السائدة حتى يستطيع أن يحطم عوامل المناعة فيه، ويسهل عملية قيادته وتدجينه، حيث عمل على تحطيم نظام التعليم بالأساس وإحلال نظام هجين مكانه يخدم سياسته وأهدافه الاستعمارية الاستدمارية.¹⁹

وحين نالت الجزائر استقلالها بعد ثورة التحرير المجيدة، ورثت نظام تعليم مفكك بأهداف استعمارية محضه، يرسخ قيم المحتل وثقافته وينتج نخبة من الأهالي تكون عوناً للمستعمر ويرسخ الصراع الحضاري القائم بين النخب التي أنتجها هذا النظام وبقية طبقات المجتمع.

وعلى سبيل المثال، ففي تقسيم أحقاب تاريخ الجزائر كانت المحاور الكبرى لهذا التاريخ تحمل العناوين التالية:²⁰

- العصر الروماني L'Epoque Romain

- الغزو العربي L'invasion arabe

- السيطرة التركية Le contrôle Turc

- وصول الفرنسيين L'arrivée des français

فهو عصر و وصول بالنسبة للفرنسيين وأسلافهم وهو غزو وسيطرة بالنسبة للمسلمين، وهذا تجني على الحقيقة التاريخية، كما أنه يلخص لنا بصورة جلية المحتوى الإيديولوجي لهذا النظام التربوي، ويعطي رسالة واضحة عن مرامييه وأهدافه الاستعمارية التي اجتهدت فرنسا الدولة الاستعمارية على ترسيخها في إطار إنتاج طبقة من المجتمع الأهلي منسلخة عن بيئتها الثقافية والاجتماعية، بما يجعلها تعمل على تحقيق المصالح الاستعمارية على حساب المواطنين.

أما من الناحية الكمية فإن تطور عدد التلاميذ في الفترة الاستعمارية يبقى قليل جداً لا يتناسب مع عدد السكان والحاجة لتشكيل النخب الاجتماعية التي تعمل على تسيير ونمو المجتمع، كما أن هذا العدد القليل بدوره، تميز بطغيان العنصر الأوروبي على العنصر الوطني بصورة عامة، سواء مقارنة مع العدد الإجمالي أو مع عدد السكان. وفي ما يلي نقدم الجدولين التاليين، الذين تم إعدادهما انطلاقاً من معطيات والبيانات التي قدمها عبد اللطيف بن أشنهو في كتابه تكوين التخلف في الجزائر²¹، خاصة في الصفحة 478-480 والذي يلخص الصورة التي كانت عليها المنظومة التربوية في الجزائر المستعمرة.

والجدولين يحرصا التلاميذ والطلبة المسجلين في كل مستويات المنظومة التربوية الجزائرية تحت الاحتلال الفرنسي، بما فيها تلاميذ الأقسام التحضيرية وطلاب الجامعة.

جدول رقم 2: يمثل تطور عدد التلاميذ والطلبة في الجزائر خلال فترة 1901-1960

| المجموع الكلي لتلاميذ المنظومة التربوية الجزائرية | | | | |
|---|--------|--------|-------------|---------|
| الفترة | الذكور | الاناث | نسبة الاناث | المجموع |
| 1901 | 115576 | 59183 | 30% | 199734 |
| 1911 | 136979 | 70667 | 28% | 248424 |
| 1921 | 112223 | 59818 | 28% | 214945 |
| 1931 | 124015 | 71767 | 27% | 263520 |
| 1945 | 132543 | 85201 | 26% | 326407 |
| 1954 | 134348 | 146902 | 25% | 587463 |
| 1956 | 131782 | 147951 | 27% | 552150 |
| 1957 | 131224 | 174158 | 27% | 650915 |
| 1959 | 136136 | 294742 | 28% | 1040423 |
| 1960 | 125305 | 327971 | 28% | 1168050 |

المصدر: تم إعداده انطلاقا من المعطيات التي قدمها عبد اللطيف بن أشنهو، في كتاب تكوين التخلف في الجزائر

جدول رقم 3: يمثل توزيع الطلبة والتلاميذ بين العنصر الأوروبي والأهالي في الجزائر خلال فترة 1901-1960

| الفترة | التلاميذ الأوروبيين | | | التلاميذ من الأهالي | | |
|--------|---------------------|--------|-------------|---------------------|--------|-------------|
| | الذكور | الاناث | نسبة الاناث | الذكور | الاناث | نسبة الاناث |
| 1901 | 115576 | 57404 | 33% | 24975 | 1779 | 7% |
| 1911 | 136979 | 67140 | 33% | 40778 | 3527 | 8% |
| 1921 | 112223 | 55687 | 33% | 42904 | 4131 | 9% |
| 1931 | 124015 | 63357 | 34% | 67738 | 8410 | 11% |
| 1945 | 132543 | 65397 | 33% | 108663 | 19804 | 15% |
| 1954 | 134348 | 66532 | 33% | 306213 | 80370 | 21% |
| 1956 | 131782 | 64133 | 33% | 272417 | 83818 | 24% |
| 1957 | 131224 | 64871 | 33% | 345533 | 109287 | 24% |
| 1959 | 136136 | 67314 | 33% | 609545 | 227428 | 27% |
| 1960 | 125305 | 59127 | 32% | 714774 | 268844 | 27% |

المصدر: تم إعداده انطلاقا من المعطيات التي قدمها عبد اللطيف بن أشنهو، في كتاب تكوين التخلف في الجزائر

وما يلاحظ على بيانات هذين الجدولين هو طغيان العنصر الأوروبي، حيث كانت يمثل النسب 87 % لتراجع إلى 61 % سنة 1945، لكن نلاحظ من البيانات السابقة التراجع الكبير للعنصر الأوروبي سنة

1954 إلى نسبة 34% وهذا يعود لانطلاق الثورة الحزبية المباركة في نهاية هذه السنة وهو ما دفع الكثير من الفرنسيين لنقل أبنائهم من المدارس الجزائرية.

ثم تواصل هذا التراجع ليصل سنة 1960 إلى 16%، ويعود ذلك إلى أحداث ومجريات الثورة المضفرة التي اشتدت في هذه الفترة بشكل كبير.

أما من ناحية التركيبة الجنسية للتلاميذ والطلاب، فإن الذكور يتغلبون على التركيبة بصورة عامة، لكن يلاحظ تراجع نسب الإناث بالنسبة للأهالي بشكل كبير، حتى نهاية سنة 1956 أين بدأت تتحسن شيئاً فشيئاً، رغم بقائها متدنية.

- وأمام متطلبات الواقع الاجتماعي والاقتصادي عند الاستقلال يوم 5 جويلية من سنة 1962 عملت الجزائر على تحسين وتغيير نظام التعليم بما يخدم المجتمع ويحقق تطلعاته، لكن جاءت هذه الإصلاحات شابها نوع من العيوب والعوائق التي وظعنها الفئة المتشعبة بالتفافة والفكر الاستعماري، وهو ما جعل هذه الإصلاحات تأتي على شكل لا يلي السقف الذي ينتظره المجتمع، وإنما على شكل رتوش سطحية.

وهذا حتى سنة 1968 أين شكلت لجنة وطنية بغرض اقتراح خطة إصلاح المنظومة التربوية، حيث قدمت ورقة عمل في سبتمبر من سنة 1969 بعنوان مدخل لإصلاح التعليم، حددت فيه الأهداف المنشودة للنظام التعليم الواجب بنائه، لأبناء الجزائر، بما يتماشى مع تطلع المجتمع الجزائري الذي أفتك استقلاله بعد 132 سنة من الاستعمار الفرنسي قدم خلالها ملايين الشهداء، وحددها بثلاث أهداف هي²²:

- ديمقراطية التعليم

- تعريب التعليم

- تحديث الطرق التعليمية.

ثم تطورت هذه الوثيقة إلى مخطط إصلاح التعليم في الجزائر الصادر عن وزارة التربية سنة 1974، والذي شكل الأساس المرجعي للأمرية الرأسية التي صدرت بمناسبة عيد العلم 16 أبريل 1976، كأول سند قانوني إصلاحي لنظام التربية والتعليم في الجزائر المستقلة.²³

والذي أتبع على مدار السنوات الأخرى بترسانة قانونية، تحدد وتصحح الاختلالات التي تظهر مع التطبيق، ومن بين هذه النصوص القانونية، نجد

القانون 05/99 المؤرخ بتاريخ 4 أبريل سنة 1999 المتضمن القانون التوجيهي للتعليم العالي والبحث العلمي.

- القانون رقم 04/08 المؤرخ في 23/04/2008 المتضمن القانون التوجيهي للتربية والذي حل محل المربة السابقة.

- القانون رقم 07/08 المؤرخ في 23/02/2008 والمتضمن القانون التوجيهي للتكوين والتعليم المهنيين.

أما من الناحية التنظيمية فإن منظومة التعليم في الجزائر، تنقسم حالياً، بين مجموعة من الإدارات والوزارات، وهي:²⁴

- منظومة التربية، التي تتكفل بالتلاميذ في المراحل الأولى من التحضيري حتى ما قبل الجامعي، وهي الأساس وتتكفل بها إداريا وزارة التربية الوطنية، التي تعتبر أكبر إدارة حكومية، من حيث التعداد أو الإنفاق الحكومي.

- منظومة التعليم العالي والتي تتكفل بها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

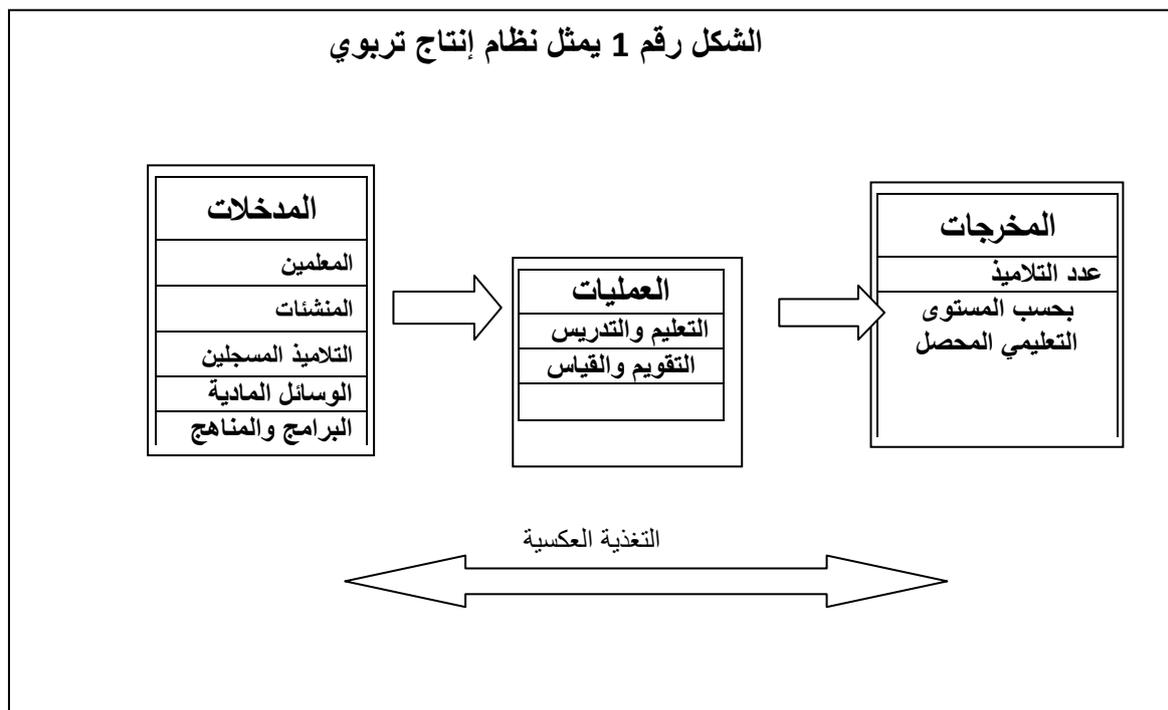
- منظومة التكوين المهني، والتي تتكفل بها وزارة التكوين والتعليم المهنيين.

خامسا: مدخلات ومخرجات نظام التعليم الرسمي في الجزائر.

إن مدخلات نظام التعليم تتكون من جملة العوامل التي ينطلق بها النظام التعليمي ليحقق الأهداف المسطرة له، وبالتالي فهي تشكل عوامل إنتاج هذا النظام، باعتباره نظام إنتاج لخدمة تتميز بخصوصيتها، ويمكن أن نقسم مدخلات نظام التعليم الرسمي، بالموارد المالية المسخرة له في ميزانية الدولة و التجهيزات والمنشآت القاعدية التي يستعملها، من مدارس و أقسام وغيرها من المنشآت، كذا تتمثل في عدد العاملين والناشطين في هذا القطاع، سواء الأساتذة والمعلمين أو الإطار الإداري، وتعتبر مدخلات نظام التعليم الرسمي أحد مؤشرات التراكم في رأس المال البشري.

أما مخرجات نظام التعليم فهي تتمثل في الأهداف التي يعمل نظام التعليم على تحقيقها بشكل مستمر، وبعبارة أخرى هي النتائج النهائية التي يقوم النظام بتحقيقها، كنتائج الطلاب النهائية في كل عام دراسي، نسب القيد في النظام، نسب النجاح في الامتحانات الرسمية، السلوكيات التي اكتسبها الطلاب من النظام وغيرها، حيث تستعمل كل من المدخلات والمخرجات كأداة لقياس تراكم رأس المال البشري.²⁵

ولتوضيح النظام الإنتاجي التربوي نورد المخطط التالي، الذي يوضح مدخلات النظام وعملياته ومخرجاته.²⁶



المصدر: Jack hallak , la productivité , le rendement et l'analyse des systèmes éducatifs

ولقد عرفت مدخلات ومخرجات نظام التعليم الرسمي في الجزائر تطورا كبيرا، منذ الاستقلال إلى اليوم، وهو دلالة على تنامي رأس المال البشري في الجزائر. بغض النظر عن جودة مخرجات هذا النظام أو كفاءته.

وفي الجدول التحليلي التالي نتابع تطور مدخلات و مخرجات نظام التعليم الرسمي في الجزائر من خلال قسمه المتعلق بالمرحلة ما قبل الجامعي وهي المرحلة التي تشرف عليها وزارة التربية الوطنية.

الجدول رقم 04 يمثل مؤشرات عن مدخلات النظام التربوي الجزائري

| الفترة | اجمالي ميزانسة الدولة [ألف دينار] | اجمالي ميزانية وزارة التربية [بالألف دينار] | نسبة ميزانية التربية من اجمالي ميزانية الدولة | العدد الاجمالي للتلاميذ | نصيب التلميذ [دج] |
|------------|--------------------------------------|--|---|----------------------------|-------------------|
| 1962-1971 | 45094855 | 8687889 | 19% | 14 972 245 | 580,27 |
| 1972--1981 | 284 289 207 | 33 581 518 | 12% | 34 570 747 | 9731.67 |
| 1982-1991 | 1127100370 | 202292070 | 18% | 56 305 806 | 3 592,74 |
| 1992-2001 | 7945418812 | 955286769 | 12% | 73 391 703 | 13 016,28 |
| 2002-2012 | 40228742777 | 4432417607 | 11% | 58 644 342 | 7558.23 |

المصدر: تم إعدادة من إنطلاقا من البيانات الإحصائية لوزارة التربية الوطنية، من سنة 1962-2012

وما يلاحظ من بيانات هذا الجدول هو أن ميزانية وزارة التربية، تمثل نسبة معتبرة من الميزانية العامة للدولة الجزائرية كان سقفها الأعلى 19%، وسقفها الأدنى لم تقل عن 11% .

وهذا دلالة على الجهد الحكومي الذي تبدله الجزائر في قطاع التربية والتعليم وما تتحمله الخزينة العمومية من النفقات العمومية العائدة لوزارة التربية، لكن يبقى نصيب التلميذ الواحد غير كافي ولا يصل إلى مستويات الدول المتقدمة. مع الإشارة إلى أننا أدرجنا كل من نفقات التجهيز والتسيير في إجمالي النفقات سواء المتعلقة بوزارة التربية أو إجمالي نفقات الدولة.

أما عدد التلاميذ، فقد أدرجنا إجمالي كل الأطوار، بجنسهم الذكور والإناث، انطلاقا من المستوى التحضيري حتى نهاية مرحلة التعليم الثانوي.

جدول رقم 05: يمثل إجمالي عدد الأساتذة والمعلمين في أطوار التعليم الثلاث بما فيهم الأجانب خلال فترة 1962-2012

| الفترة | إجمالي المراحل الثلاث | | معلمي الطور 1 و 2 | | معلمي الطور 3 | | أساتذة الثانوي | |
|-----------|-----------------------|------------|-------------------|------------|---------------|------------|----------------|------------|
| | المجموع | منهم أجانب | المجموع | منهم أجانب | المجموع | منهم أجانب | المجموع | منهم أجانب |
| 1962-1971 | 348 692 | 97 976 | 287 640 | 62 381 | 38 941 | 21 306 | 22 111 | 14 289 |
| 1972-1981 | 914 502 | 88 855 | 683 883 | 20 957 | 167 334 | 33 594 | 63 285 | 34 304 |
| 1982-1991 | 2 412 261 | 52 013 | 1 407 517 | 4 901 | 696 289 | 12 431 | 308 455 | 34 681 |
| 1992-2001 | 3 187 593 | 6 468 | 1 675 651 | 1 664 | 986 103 | 2 589 | 525 839 | 2 215 |
| 2002-2013 | 3 857 848 | 973 | 1 751 006 | 152 | 1 360 675 | 307 | 746 167 | س |

المصدر: تم إعدادة من إنطلاقا من البيانات الإحصائية لوزارة التربية الوطنية، من سنة 1962-2012

الجدول رقم 06: يمثل عدد التلاميذ في أطوار المنظومة التربوية خلال الفترة 1962-2012

| الفترة | الحملة | | الطوران 1 و 2 | | الطور 3 | | الثانوي | |
|-----------|------------|------------|---------------|------------|------------|------------|-----------|-----------|
| | المجموع | بنات | المجموع | بنات | المجموع | بنات | المجموع | بنات |
| 1962-1971 | 14 972 245 | 5 508 182 | 14 315 463 | 5 384 975 | 1 276 168 | 365 790 | 189 040 | 49 074 |
| 1972-1982 | 34 570 747 | 13 761 862 | 27 731 649 | 11 278 484 | 5 502 230 | 2 034 228 | 1 336 868 | 449 150 |
| 1982-1991 | 56 305 806 | 24 390 647 | 37 396 942 | 16 449 170 | 13 462 332 | 5 522 895 | 5 446 532 | 2 418 582 |
| 1992-2001 | 73 391 703 | 35 134 743 | 46 547 279 | 21 555 528 | 18 046 087 | 8 924 074 | 8 798 337 | 4 655 141 |
| 2002-2012 | 58 644 342 | 28 084 249 | 34 823 263 | 16 434 708 | 23 815 586 | 11 644 048 | 5 493 | 5 493 |

المصدر: تم إعدادة من إنطلاقا من البيانات الإحصائية لوزارة التربية الوطنية، من سنة 1962-2012

أما الجدول التالي فإنه يشمل تطور عدد المؤسسات التعليمية والأقسام وكذا تطور عدد المعلمين والأساتذة في أطوار التعليم.

الجدول رقم 07: يمثل عدد التلاميذ في أطوار المنظومة التربوية خلال الفترة 1962-2012

| المجموع | الثانوي | | الطور 3 | الطوران 1 و 2 | | سنوات |
|---------|---------|--------|---------|---------------|--------------|-----------|
| | مناقن | ثانوي | | مدارس أساسية | مدارس أساسية | |
| 38 128 | 48 | 386 | 4 071 | 0 | 42 740 | 1962-1971 |
| 91 807 | 181 | 1 414 | 7 344 | 466 | 82 868 | 1972-1981 |
| 140 373 | 933 | 4 577 | 18 201 | 801 | 116 | 1982-1991 |
| 194 785 | 2 117 | 8 860 | 30 553 | 1 150 | 153 | 1992-2001 |
| 232 145 | 1 216 | 14 606 | 42 845 | 1 319 | 173 | 2002-2012 |

المصدر: تم إعدادة من إنطلاقا من البيانات الإحصائية لوزارة التربية الوطنية، من سنة 1962-2012

من الجداول السابقة نلاحظ بأن الدولة الجزائرية قد وفرت كثير من مدخلات المنظومة التربوية الوطنية، سواء من حيث التمويل أو من حيث المنشآت القاعدية، أو من حيث الإطار البشري من معلمين وأساتذة في الأطوار الثلاث. وهذا ما انعكس على مخرجات هذا النظام، بحيث أن جملة التلاميذ في أطوار المنظومة التربوية، أصبح يمثل نسبة معتبرة من إجمالي السكان، وهو ما انعكس بدوره على تراجع مستويات الأمية وتراكم رأس المال البشري في الجزائر من حيث المؤشرات الكمية.

فقط تبقى مسألة المؤشرات النوعية، المتمثلة في جودة التعليم وكفاءة نظم التعليم الرسمية، تتطلب جهدا كبيرا ومعتبرا، حتى نفعل رأس المال البشري بما يخدم التقدم والتنمية في الجزائر.

الخاتمة:

تطرقنا لمفهوم رأس المال البشري، هذا المصطلح الذي ظهر كنتيجة لملاحظة دور التعليم والتكوين في كفاءة العامل بما يجعله فعالا في نشاطه اقتصادي، وذلك منذ القديم وعبر المدارس الاقتصادية.

لكن التأسيس الفعلي لنظرية رأس المال البشري، تعود للنصف الثاني من القرن السابق، أين كانت أعمال رواد من جامعة شيكاغو، قد توجت بترسيم البعد الاقتصادي للتربية والتعليم في التنمية والنمو الاقتصاديين.

وهذا ما دفع المؤسسات الدولية لرصد مؤشرات فعالية النظم التربوية والتعليمية في البلدان وأدخلتها في مؤشرات التنمية البشرية التي تصدرها سنويا هيئة الأمم المتحدة عن طريق برنامجها للتنمية [PNUD].

والجزائر من خلال إحصائيات مدخلات نظامها التربوي، عملت بشكل عميق وبذلت مجهودا معتبرا منذ الاستقلال إلى اليوم.

رغم هذا فإن هذه المجهود أنصب على الكم، وأهمل الكيف من جودة وفعالية، والدليل على ذلك ترتيب الجامعات الجزائرية في التصنيفات المختلفة للجامعات العالمية، حيث تحتل دوما مراتب غير مشرفة على العموم.

علما أن البلدان المتقدمة، قد تجاوزت مفهوم رأس المال إلى مفاهيم أكثر تطورا و أكبر أثرا في النشاط الاقتصادي والاجتماعي، كمفهوم رأس المال المعرفة والمفاهيم الأخرى الحديثة التي تبرز دور التعليم والمعرفة في النمو والتنمية.

والدخول لاقتصاد المعرفة من أجل تهيئة الجهد البشري بما يعود على الفرد والمجتمع بعوائد معتبرة تنعكس تقدما وازدهارا للمجتمع وتحقق الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية لكل أفراد.

الهوامش والمراجع:

- ¹ - Youssof Ba. Analyse du capital humain: diagnostic des dépenses d'éducation au Senegal. Economies and _nances. 2011. dumas-00662055 , p13
- ²- OCDE. (1996b). Mesurer le capital humain: Vers une comptabilité du savoir acquis. Paris 1996
- ³ -FAO , Institutions Pour le developpement Rural , Comprendre, analyser, gérer un processus de décentralisation: le modèle RED –Info et son utilisation, rome 2006 ,P19
- ⁴ - Youssof Ba, opcit,p 13
- ⁵ - Banque mondiale, L'éducation pour le développement , une analyse des choix d'investissement, Ed Economica paris 1988
- ⁶ - عماد الدين أحمد المصباح , رأس المال البشري في سوريا: قياس عائد الاستثمار في رأس المال البشري , ورقة بحثية مقدمة الى ندوة الاقتصاد السوري: رؤية شبابية , (المزة: المركز الثقافي العربي , جمعية العلوم الاقتصادية السورية , 23 يوليو 2005). ص 6
- ⁷-Robert J. Barro and Jona – whalee ,International Data on Educational Attainment: Update and Implications, Center for International Development at Harvard University (CID) , working papers. April 2000 .
- ⁸ - د. نافر أيوب محمد , الاهمية التنموية لرأس المال البشري في الوطن العربي ودور التربية والتعليم فيه , ص 9 .
- ⁹-Behrman, Jere R., and Paul J. Taubman. 1982. "Human Capital." In Encyclopedia of Economics, ed. Douglas Greenwald, p474-476. New York: McGraw-Hill Book Company.
- ¹⁰ - البنك الدولي, أين تكمن ثروة الأمم, قياس رأس المال للقرن الواحد والعشرين, ترجمة ونشر مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية, أبوظبي 2008, ص 128-127
- ¹¹ - Banque mondiale, L'éducation pour le développement , une analyse des choix d'investissement , opcit, p 41-42
- ¹² - البنك الدولي, أين تكمن ثروة الأمم, قياس رأس المال للقرن الواحد والعشرين, مرجع سابق, ص 128.
- ¹³ - احمد شبشوب, علوم التربية, المؤسسة الوطنية للكتاب, الجزائر 1991, ص 7-8
- ¹⁴ - عبدالهزاهياالرشدان, فياقتصادياتالتعليم, داروائلللنشر, عمان 2005, ص 16
- ¹⁵ - Pierre Gravat, économie de l'éducation, économica, paris 1993, p VI.
- ¹⁶ - فاروقعدهفلية, اقتصادياتالتعليم, دارالمسيرة, عمان, 2003, ص 25
- ¹⁷ - تميزت جامعة شيكاغو بأعمال
- ¹⁸ - هي شهادات جاءت في رسائل كبار ضبط فرنسا للأسرهم حيث يتعجبون من تعلم وثقافة المجتمع الجزائري.. أنظر في ذلك الكتب التي تأرخ لفترة دخول الفرنسيين, التي تناولت هذه الرسائل.
- ¹⁹ - عثمان سعدي, قصة التعريب في الجزائر, دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع, الجزائر 1993, ص 56-102.
- ²⁰ - محمد الطيب العلوي, التربية والإدارة, الجزء الأول, دار الشهاب للطباعة والنشر, الجزائر 1986, ص 192
- ²¹ - عبد اللطيف بن أشهوهو, تكوين التخلف في الجزائر, محاولة لدراسة حدود التنمية الرأسمالية في الجزائر بين عامي 1830-1962, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر 1979, ص 478-483
- ²² - محمد الطيب العلوي, مرجع سبق ذكره, ص 192-193
- ²³ - الأمر رقم 35-76 المؤرخ في 16/04/1976 والصادر بالجريدة الرسمية بالجريدة الرسمية رقم 33 الصادرة بتاريخ 23/04/1976 .
- ²⁴ - محمد دهان, الاستثمار في رأس المال البشري, مقارنة نظرية ودراسة تقييمية لحالة الجزائر, رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية, جامعة منتوري, قسنطينة 2009-25010, ص 112-115 .
- ²⁵ - المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم, وحدة النظام التربوي الجزائري, سند تكويني لفائدة إطارات التربية الوطنية, الجزائر 2005, ص 10-15
- ²⁶ - jack hallak , la productivité , le rendement et l'analyse des systèmes éducatifs, Unesco: Institut international de planification de l'éducation, : Institut international de planification de l'éducation ,Unesco ,document TM/28/68 in les principes de la planification de l'éducation , conférences et discussions. Unesco. P5